**اللغة الكراهانية و أول قاموس للأتراك**

تعد اللغة الكراهانية المرحلة الأولى من لغة الكتابة التركية الإسلامية في آسيا الوسطى، والتي تطورت من لغة الكتابة التركية القديمة. نشأت هذه اللغة المكتوبة بين القرنين ١١ و١٣ الميلادي، وكان مركزها في كاشغر بشرق تركستان. وتُعرف أيضًا بمصطلح "حقانية تركجسي"، حيث تعد امتدادًا للغة الأورخونية والتركية الأويغورية. وتمثل مرحلة الاستمرار لهذه اللغة في الأدب الإسلامي التركي في آسيا الوسطى، والتي تتم عبر كتب حقبة خارزم-الذهبية (القرنان ١٣ و١٤ الميلادي) وأعمال كُتبت بلغة التركية الجغطائية (القرنان ١٤ و١٦ الميلادي).
بعد سقوط دولة الأويغور، تسبب الفراغ في آسيا الوسطى الشرقية في هجرة قبائل القارلوق، والياغما، والتشيجيل، والتوخسي التركية. واستقرت هذه القبائل في غرب حوض تاريم، وكاشغر، ومناطقها المجاورة. واستمر تفرق هذه القبائل لبعض الوقت، ولكن بحلول أوائل القرن ١٠م، تمكن الكراهانيون من توحيدها، وأسسوا دولة تركية مستقلة. وفي عام ٩٥٠م، اعتنق ساتوق بوغرا خان الإسلام، وبذلك أسس أول دولة تركية إسلامية. وقد امتدت حدود هذه الدولة من شرق تركستان إلى بلاد ما وراء النهر.

ترجع أصول الدولة الكراهانية على الأرجح إلى القارلوق، ولكن هناك خلافًا بين المؤرخين حول أصل الأسرة الحاكمة، حيث طُرحت عدة نظريات في المصادر التاريخية، من أهمها:

النظرية الأويغورية
النظرية التركمانية
نظرية الياغما
النظرية القارلوقية
نظرية القارلوق-الياغما
النظرية التشيجيلية
نظرية التشييو

وأكثر هذه النظريات قبولًا هي النظرية القارلوقية، التي تُرجع نسب السلالة الكراهانية إلى أسرة القارلوق، وهي فرع من عشيرة آشينا الحاكمة لدى التشييو التركية.

خضع القارلوق لحكم الأويغور بين عامي ٧٤٧ – ٨٤٠م. وبعد انهيار اتحاد الأويغور-القارلوق عام ٨٤٠م، أسس الكراهانيون دولتهم، وكان مؤسسها بلغَا كل قدر خان، وبعده تولى حكم الدولة ابنه أوغُلشاك، الذي جعل عاصمته في كاشغر. وخلال فترة التوتر السياسي بين الكراهانيين والسامانيين، لجأ أحد الأمراء السامانيين إلى أوغُلشاك، وبهذه المناسبة، تعرف ابن أوغُلشاك، ساتوق بوغرا خان، على الإسلام واعتنقه عام ٩٣٢م، ثم أعلن الإسلام ديانة رسمية للدولة في القسم الغربي منها. وبعد ذلك، أكمل ابنه بايطاش عملية أسلمة الدولة عام ٩٦٠م.

امتدت الحدود الجغرافية للدولة قبل انقسامها عام ١٠٤٧م كما يلي:
شرقًا: غرب تركستان الشرقية
شمالًا: جبال تَرباغاتاي، وبحيرة بالكاش، وبحيرة آرال
غربًا: صحراء قراقوم، ونهر جيحون
جنوبًا: الهند، وجبال هندوكوش، وجبال بامير، وجبال قراقوم

كانت فرغانة تقع في مركز هذه المناطق، فيما شمل الجزء الغربي من الدولة بعد عام ١٠٤٧ مدن ما وراء النهر، بما في ذلك بخارى، سمرقند، أوترار، وتاشكند، التي كانت مراكز ثقافية مهمة.

شهدت الدولة انقسامات داخلية حالت دون حكمها كوحدة موحدة. ورغم محاولات يوسف قدير خان (١٠١٤ – ١٠٢٤م) لإعادة توحيدها، إلا أنه فشل، وانقسمت الدولة بين أبنائه عام ١٠٤٧م. وفي عام ١٠٥٦م، تولى الحكم في كاشغر توغاش أولوغ بوغرا كرا خان، الذي اشتهر بعدالته ورعايته للعلماء والفنانين. وخلال عهده، كُتبت كُتادغو بيليغ وديوان لغات الترك.

تعد اللغة الكراهانية امتدادًا للغة الأويغورية ولغة كتابات الأورخون، ويعتبر كثير من العلماء أنها تمثل بداية المرحلة الوسطى من التركية، حيث صنفها بعض الباحثين كما يلي:
التركية القديمة: شملت الأورخونية والأويغورية
التركية الوسطى: شملت الكراهانية، الجغطائية، والعثمانية
التركية الحديثة: شملت الفروع المختلفة مثل التركية العثمانية، الأذرية، التركمانية، الأوزبكية، القازاخية، القيرغيزية، وغيرها

في السنوات الأخيرة، خالف بعض العلماء هذا التصنيف، حيث صنف مارسيل إردال عام ٢٠٠٤م النصوص الكراهانية ضمن اللغة التركية القديمة، وليس الوسطى. في دراسة بعنوان "تشكيل الكلمات في التركية القديمة"، أشار إردال إلى معجم الأعمال المكتوبة.

وعند الرجوع إلى مصدرٍ أقدم، نجد أنّ أندراش رونا تاش في كتابه مقدمة في علم التركيات اللغة التركية اعتبر اللغة الكراهانية التركية جزءًا من اللغة التركية الوسطى بعد المرحلة الأخيرة من التركية القديمة.

الملفت في هذا الطرح هو تحديده بداية التركية الوسطى عند سنة ١٢٠٠م، وهي الفترة التي تزامنت مع بدء الاجتياح المغولي. وبعد رونا تاش، نجد أنّ لارس يوهانسون أيضًا في مقاله تاريخ اللغة التركية ضمن كتاب اللغات التركية سنة ١٩٩٨م، اعتبر القرن الثالث عشر بداية العصر التركي الأوسط.

أما مصطلح التركية الوسطى، فقد استُخدِم لأول مرة للإشارة إلى اللغة الكراهانية التركية من قبل كارل بروكلمان في دراسته حول معجم ديوان لغات الترك بعنوان المعجم التركي الأوسط وفقًا لديوان لغات الترك لمحمود الكاشغري، كما نجد غرونبيخ وليغيتي وبروكلمان استخدموا المصطلح ذاته.

وبالمثل، يربط أحمد جعفروغلو في كتابه تاريخ اللغة التركية فترة التركية الوسطى بـ اللغة الكراهانية التركية.

وكما هو واضح، فقد اختلفت المقاربات حول تصنيف اللغة الكراهانية التركية، فإما أن تُدرَج ضمن التركية القديمة، أو تُعتبَر البداية الفعلية للتركية الوسطى، ابتداءً من نهاية القرن الحادي عشر.

وإذا أخذنا الاجتياح المغولي كعاملٍ رئيسيٍّ في تحديد بداية حقبة جديدة، فمن الممكن اعتبار القرن الثالث عشر بدايةً للمرحلة وبهذا، ينبغي تصنيف اللغة الكراهانية التركية ضمن اللغة التركية القديمة.

**اللغة الكراهانية والأعمال المكتوبة بها:**

**<u>كُتُب كُتِبَت باللغة الكراهانية التركية</u>**

**كُتَادْغُو بِيليغ**

يُعَدُّ كُتَادْغُو بِيليغ من أهم الأعمال التي كُتِبَت باللغة الكراهانية التركية، وقد أَلَّفه يوسف خاص حاجب، والمعلومات المتوفرة عن المؤلف قليلة، ومعظم ما نعرفه عنه مستمدٌّ من كتابه نفسه، خاصة من المقدمة التي كتبها في بداية العمل.

لا تُعرف تاريخا ميلاد ووفاة يوسف خاص حاجب بدقة، لكن من خلال ما ذكره في كتابه، يمكن تقديرسنة ميلاده بشكل تقريبي.

يُعتقد أنه توفي بعد فترة قصيرة من إنهائه للكتاب، وربما سنة ١١٠٣م، خلال فترة حكم بوغرا خان.

**مكانة يوسف خاص حاجب ومعارفه**

وُلِد يوسف خاص حاجب في بالاساغون، وكان شخصًا مثقفًا، واسع المعرفة، يمتلك فهمًا عميقًا وذكاءً حادًا. كان متقنًا لعدة لغات إلى جانب لغته الأم، فقد كان ملمًّا بالعربية والفارسية والسوغدية (إحدى اللغات الإيرانية الشرقية القديمة) كما قرأ العديد من الكتب الفلسفية والعلمية، منها:

الشاهنامه للفردوسي

مؤلفات الفارابي وابن سينا الفلسفية باللغة العربية

كما كان ملمًّا بالشعر، العروض، البلاغة، العلوم الإسلامية، الأمثال التركية، النظم السياسي، الفلسفة، الرياضيات، الفلك، تفسير الأحلام، الطب، وعلم الاجتماع.

تشير المصادر إلى أنه كان على دراية واسعة بآراء فيلسوفين معاصرين له تقريبًا، وهما:

الفارابي

ابن سينا

لكن لا توجد معلومات واضحة حول ما إذا كان قد تتلمذ على يديهما مباشرة، إلا أن كتاباته تعكس معرفته بأعمالهما وتأثره بأفكارهما.

لم يكن يوسف خاص حاجب مجرد مطَّلع على الثقافة العربية والفارسية والعلوم الكلاسيكية الغربية، بل كان أيضًا ملمًّا بالثقافة التركية قبل الإسلام ويعرف تفاصيلها جيدًا.

بالاساغوني يوسف، في الفترة التي عاش فيها، تولّى واحدة من أرقى وأهم المناصب في البلاط الملكي، وهي وظيفة "الحاجب"، أي "البوّاب" (المابيني). كان يتمتع بثقة كبيرة من قبل بُغرا خان، وكان من أقرب رجاله في القصر، ولذلك حصل على لقب "خاص"، مما جعله يُعرف في صفحات التاريخ باسم "يوسف خاص حاجب".

كتب يوسف خاص حاجب كتاب كُتادغو بيليغ لصالح أحد أفراد سلالة الكراهانيين، وهو بُغرا قراخان أبو علي حسن بن سليمان أرسلان قراخان، وذلك في السنة (١٠٦٩-١٠٧٠م) حيث استغرق في تأليفه ثمانية عشر شهراً، بدأ كتابة هذا العمل في بالاساغون، وأتمه في كاشغر.

يُترجم عنوان الكتاب إلى كلمة "كت":أن تصبح سعيدً وكلمة "بيلغ": العلم أو المعرفة، ف" كُتادغو بيليغ" تعني العلم الذي يجلب السعادة و القداسة.

**الشخصيات الرمزية في كُتادغو بيليغ**

وظّف يوسف خاص حاجب أربع شخصيات رمزية تجسد مفاهيم مجردة، وأعطاها أسماء تعكس معانيها:

كُن توقدي (الحاكم) وتعني طلوع الشمس وهو يرمز إلى العدل.
أي تولدي (الوزير) وتعني اكتمال القمروهو يرمز إلى الحظ والقدر والرخاء
أوغدولميش (ابن الوزير) وتعني الممدوح وهو يرمز إلى العقل والحكمة
أودغورميش (أخو الوزير) وتعني المتيقظ وهو يرمز إلى زهد الدنيا والتفكير في الآخرة

يبدأ الكتاب بتقديم هذه الشخصيات الأربع، حيث تدور النصف الأول من القصة حول العلاقة بين الحاكم والوزير وابنه، وتعتمد على التقاليد السياسية الفارسية، بينما يركّز النصف الثاني على شخصية أودغورميش ويتناول موضوعات دينية وصوفية.

إلى جانب هذه الشخصيات الأساسية، يظهر في الكتاب ثلاث شخصيات أخرى تحمل أسماء رمزية:

كوسيميش: الرجل الذي يساعد أي تولدي عند وصوله إلى العاصمة

أرسِغ: حاجب الملك

كومارو: تلميذ أودغورميش

**الخصائص الأدبية لكتاب كُتادغو بيليغ**

رغم أن الكتاب ذو طابع تعليمي ودعوي، إلا أنه يحتوي على لمسات شعرية ولحنية، خاصة في أجزاء مدح الله والرسول ومدح الحاكم ووصف الربيع ويتخذ شكل حوار فلسفي مليء بالأمثال والحكم المستمدة من التراث التركي القديم.

يبدأ الكتاب بمقدمة نثرية وشعرية تتضمن فهرس الفصول، يليها مدح لله ودعاء إليه، وهو أقدم مثال على التوحيد والمناجاة في الأدب التركي الإسلامي و تتألف هذه المقدمة الشعرية من 33 بيتًا مكتوبة بأسلوب المثنوي.

يُعد كُتادغو بيليغ أقدم وأكبر عمل في الأدب التركي الإسلامي، إذ يمتد تاريخه إلى أكثر من ٩٠٠ عام، كُتب باستخدام بحر المتقارب (فعولن فعولن فعولن فعول) ويتألف من 6645 بيتًا، جميعها مكتوبة بأسلوب المثنوي، باستثناء الفصول الثلاثة الأخيرة التي استخدم فيها القافية الغزلية.

**المخطوطات الثلاث لكتاب كُتادغو بيليغ**

هناك **ثلاث نسخ مخطوطة** محفوظة لهذا العمل:

**مخطوطة فيينا (هرات):**

كُتبت بالأبجدية الأويغورية عام ١٤٣٩م

اكتشفها المستشرق النمساوي جوزيف فون هامر-بورغشتال في القرن الثامن عشر، ونقلها إلى مكتبة القصر في فيينا

**مخطوطة مصر:**

كُتبت بالحروف العربية قبل عام ١٣٧٤م لصالح عز الدين أي دمير.

اكتشفها الدكتور موريتز عام ١٨٩٦م، في القاهرة وهي محفوظة في المكتبة الوطنية المصرية.

**مخطوطة فرغانة:**

نُسخت في النصف الأول من القرن الرابع عشر في منطقة خارزم.

اكتشفها الباحث زكي وليدي طوغان عام ١٩١٤م وعرّف بها في مقالة علمية في فرغانة.

يُعد كُتادغو بيليغ من أهم الكنوز الأدبية في التراث التركي، حيث يمثل جسرًا فكريًا وأدبيًا بين التراث التركي القديم والتقاليد الإسلامية، ويُعد نموذجًا بارزًا لفلسفة الحكم في الدولة الكراهانية.

**ديوان لغات الترك**

يُعدُّ هذا الكتاب ثاني أهم أثرٍ وصلنا من عهد الكراهان، وهو أول معجم معروف للغة التركية، ألفه كاشغري محمود بن حسين بن محمد تحت العنوان الكامل هذا كتاب ديوان لغات الترك وبحسب المعلومات المتوفرة، بدأ كاشغري محمود في تأليف كتابه سنة ١٠٧٢م وأتمّه في ١٠٧٧م.

أما المعلومات المتوفرة عن المؤلف فهي محدودة وتقتصر على ما ذكره بنفسه في كتابه. ووفقًا لما أورده، فإن والده يُدعى حسين ، ومن خلال كتابه يُفهم أنه وُلِد في كاشغر، لكن عند حديثه عن مدينة بارسغان استخدم عبارة هذه المدينة هي مدينة والد محمود مما دفع الباحثين إلى الاعتقاد بأن والده كان من بارسغان.

من خلال كتابه، يتضح أن كاشغري محمود كان يتقن اللغة التركية ولهجاتها المختلفة، بالإضافة إلى اللغة العربية ومن خلال المعلومات التي أوردها في معجمه، يمكننا القول إنه لم يكن مجرد معجمي، بل كان أيضًا عالمًا في فقه اللغة وباحثًا في علم اللهجات كما أن استخدامه للأمثال والأشعار في معجمه يُظهر اهتمامه العميق بالأدب الشعبي.

إلى جانب ديوان لغات الترك، يُقال إن له كتابًا آخر في النحو بعنوان جواهر النحو في لغات الترك، إلا أن هذا الكتاب لم يتم العثور عليه حتى اليوم.

يُعدُّ ديوان لغات الترك معجمًا موسوعيًا، إذ يقدم معلومات غنية عن القبائل التركية في ذلك العصر، والفروقات اللغوية بين مجمع اللغات التركية، ويحتوي "ديوان لغات الترك" لهجاتهم، بالإضافة إلى ثروة لغوية واسعة من المفردات. تعني عبارة الكتاب على معلومات لغوية دقيقة حول الصوتيات، والصرف، والدلالة، والمعجم الخاص باللغات التركية في عصره.

كان الهدف الأساسي من تأليف هذا الكتاب تعليم العرب اللغة التركية، وكذلك لإثبات أن اللغة التركية لا تقل شأنًا عن اللغة العربية من حيث غناها بالمفردات وقوة تعبيرها.

اعتمد كاشغري محمود في كتابه على لغة الكراهانيين (الحكّانيين) والتي كانت لغة الكتابة في زمنه، بالإضافة إلى لهجات أخرى مثل تشِغِل، يَغما، قارلوق، يمك، أوغوز، بلغار، سُوَار، أَرغو، كِنْجَك، باسْمِل، وقد عمل المؤلف كميداني لغوي، حيث تنقل بين القبائل وجمع مفرداتها، وكان أول من حدد القواعد النحوية للغات التركية وفقًا لاختلاف لهجاتها

يُعبر كاشغري محمود عن هدفه من تأليف هذا المعجم بقوله "لكي يُعرف أن اللغة التركية والعربية تسيران جنبًا إلى جنب كما كنت أشعر بالحاجة إلى جمع الكلمات المستخدمة والمنسية وكتابتها في هذا الكتاب"

فعل الخليل في كتاب العين، أراد المؤلف أن يُظهر أن اللغة التركية لم تفقد مكانتها أمام اللغة العربية بعد دخول الأتراك في الإسلام، وعبر عن ذلك بتضمينه اختلافات اللهجات التركية، والأشعار، والأمثال، والتعابير الاصطلاحية في كتابه. وكان أحد أهدافه الرئيسة أيضًا تعليم العرب اللغة التركية.

أما عن منهجه في جمع المادة اللغوية، فيقول "أنا أفصحهم لسانًا، وأوضحهم بيانًا، وأدقّهم عقلًا، وأعرقهم نسبًا، وأمهرهم في استعمال الرمح، ومع ذلك جُبت مدنهم وقراهم وصحاريهم، فدرست لغات القبائل التركية، مثل الأتراك، التركمان، الأوغوز، التشِغِل، اليَغما، والقِرغيز، وسجلت أوزانهم الشعرية، حتى أصبحت لدي معرفة راسخة بلغاتهم، ونظمتها ورتبتها على أفضل نحو". لكنه لم يمنح جميع اللهجات القدر نفسه من الاهتمام، فمثلًا، رغم ذكره لغة القِرغيز، إلا أنه لم يقدم أي معلومات عنها في الكتاب.

يحتوي الكتاب على ٧٦٤ بيتًا شعريًا، و٢٨٩ مَثَلًا شعبيًا، مما يرفع قيمته الأدبية. ونظرًا لأن هذه الأشعار كُتبت في فترة التحول إلى الإسلام، فقد دُرست من حيث أوزانها العروضية، وتباينت الآراء بين كونها كُتبت بالبحور العروضية العربية أو بأوزان الشعر الشعبي التركي. في النهاية، تبين أنها تحتوي على نصوص من الشعر الشعبي القديم، إلى جانب أشعار نظمها أول الشعراء المسلمين من الأتراك وفق الأوزان العروضية العربية. أما من حيث الشكل، فقد كُتبت إما على شكل أبيات ثنائية (بيتين)، أو رباعيات (أربعة أبيات) لكنها مبعثرة في الكتاب حيث وردت كمثال على المفردات اللغوية.

توجد نسخة مخطوطة وحيدة من ديوان لغات الترك، وقد اكتشفها علي أميري أفندي في إحدى المكتبات المستعملة في استانبول عام 1917م وعندما رآها أدرك قيمتها، لكنه لم يكن يملك المال الكافي لشرائها، فاستدان مبلغًا لإتمام الصفقة واليوم تُحفظ المخطوطة في مكتبة علي أميري، التي تأسست بمساهمته، ضمن مكتبة الأمة في استانبول